بسم الله الرحمن الرحيم

كفى بالموت واعظاً

الحمد لله الولي الحميد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه، خضعت له الرقاب، وذلت له العبيد، وأشهد أن لا إله إل الله وحده لا شريك له ولا نديد، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، سيد الرسل، وخلاصة العبيد، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعيد، أما بعد :

عباد الله: اتقوا الله فإنه من اتقى الله وقاه، ومن سارع إلى طاعته فاز بمغفرته وجنته ورضاه، وأمن من الخزي والندامة يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

عباد الله : إن الإنسان يتقلب في هذه الحياة، في حلوها ومرها، في صفوها وكدرها، في سعادتها وشقائها ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وفجأة يجد نفسه أمام حقيقة عظيمة، طالما صرف نفسه عن التفكير فيها، وطالما نسيها أو تناساها، ذلكم هو الأمر الكبار، إنه الموت ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ﴾ .

أبى الموت إلا أن يكــون لمن ثـوى *** من الخلق طراً حيثما كان لا قياً

حسمت المنى يا موت حسماً مبرحاً *** وعلمت يا موت البكاء البواكيا

ومـزقــتنا يا موت كـــل ممــزق *** وعرفتنا يا موت منك الدواهيا

ينطرح الإنسان على فراش الموت، يقلب عينيه فيمن حوله، يتذكر صبية صغاراً، لا يجدون بعده مأوى ولا داراً، من يعولهم بعده، من يكسوهم إذا احتاجوا، من يجيبهم إذا سألوا، من يؤويهم ويحميهم، من يساعدهم ويكفيهم، ينطرح على فراشه، لا يستطيع على حراك، ولا يقدر على فكاك،

وقد أيقن بالهلاك، وكأني به وقد أتاه رسول ربه، لا يقرع له باباً، ولا يهاب صحابا، ولا يقبل عنه بديلا، ولا يأخذ منه كفيلا، ولا يرحم صغيرا، ولا يوقر كبيراً .

ثم تأتي تلك اللحظة الحاسمة، عندما لا يبقى له في الدنيا شربة إلا شربها، ولا لقمة إلا أكلها، ولا نفساً إلا تردد في صدره . ينزل عليه ملك الموت لنزع روحه ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ﴾ فلا تسأل عن تلك اللحظات، فكم فيها من المعاناة، وما أشد الكربات، فقد عانا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول «إن للموت لسكرات» اللهم هون علينا السكرات ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ فيا سعادة من كان آخر كلامه من الدنيا : لا إله إلا الله . ويا شقاوة عبد أعرض عن مولاه، وكان في الدنيا متبعاً لهواه .

عبد الله : تصور نفسك وأنت في تلك اللحظات، وقد نزلت عليك ملائكة الرحمة، تبشرك بروح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان، تصور نفسك وأنت ملقى بين يدي المغسل، وقد جُردت من ملابسك، يقلبك يمنة ويسرة، ثم تكفن ويصلى عليك، ثم توارى في حفرة، ويهال عليك التراب، ثم تترك وحيداً فريداً .

أين من سعى واجتهد، وجمع وعدد، وبنى وشيد، وزخرف ونجد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يُمتع . أين من شيد القصور، ونسي القبور، أين من قاد الجنود، ونشر البنود، أضحوا رفاتا تحت أطباق الثرى، وأنا وإياكم عما قريب بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون، وعلى آثارهم مقتفون، ثم تؤخذون إلى الموضع الموعود، القبر وما أدراكم ما القبر .

تصور نفسك وأنت في أول لحظة فيه، وقد أتاك الملكان، فسألاك عن ربك ودينك ونبيك، وقد ألهمت الصواب، وأحسنت الجواب .

ثم تأمل فيما بعد القبر وشدته، تأمل في يوم البعث والنشور، ﴿يَـوْمَ تُبَـدَّلُ الأَرْضُ غَـيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِّ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُـونَ﴾ ﴿يَـوْمَ نَطْـوِي الـسَّمَاءَ كَطَـيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلاَئِكَةُ تَنزِيلاً﴾ ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَـلَى اللهِّ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً * وَتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْراً﴾ ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُـونُ الجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَـأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

عباد الله: إنه والله الجد لا اللعب، والصدق لا الكذب، وما هو إلا الموت أسمع داعيه، فأعجـل حاديه، فأكثروا ذكر الموت هادم اللذات، وخذوا من مصارع ذويكم ومن حولكم أبلغ العظات.

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، هون علينا سكرات الموت، واجعل آخر كلامنـا مـن الدنيا لا إله إلا الله .

الخطبة الثانية :

الحمد لله المبدي المعيد، الحمد لله الفعال لما يريد، الحمد لله أذل بالموت العبيد، أما بعد

عباد الله : اتقوا الله وراقبوه، وأطيعوا أمره ولا تعصوه . ألا ترون ! ألا تتفكرون ! ألا تنظرون ! تشيعون في كل يوم غادياً، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض،خلع الأسباب، وترك الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، وانتهى أمله وأجله، تبعه أهله وماله وعمله، فرجع الأهل والمال، وبقي العمل . فارق الأحبة والجيران، هجره الأصحاب والخلان، ما كأنه عاش في هذه الدنيا ومشى على ثراها، ما كأنه فرح يوما ولا ضحك، بل صار فقيرا إلى ما قدم، غنيا عما ترك .

عباد الله : اتقوا الله واعلموا أن الآمال تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، والليل والنهار يُقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، وفي ذلك ما يلهي عن الشهوات، ويسلي عن اللذات، ويرغب في الباقيات الصالحات .

عباد الله : كم من واثق في الدنيا فجعته، وكم من مطمئن إليها صرعته، سلطانها دول، وحلوها مر، وعذبها أجاج، العمر فيها قصير، والمقام فيها يسير، وجودها إلى عدم، وسرورها إلى حزن، وكثرتها إلى قلة، وعافيتها إلى سقم، وغناها إلى فقر، دار مكَّارة، أيامها غرارة، ولأصحابها بالسوء أمارة، وهي إما نِعَم زائلة، أو بلايا نازلة، أو منايا قاضية، عِمَارتها خراب، واجتماعها فراق، وكل ما فوق التراب تراب .

عباد الله : أكثروا من ذكر هادم اللذات، فقد أمركم نبيكم صلى الله عليه وسلم بذلك، ففي ذكره حياة للقلوب، وقرب من علام الغيوب، وتعجيل بالتوبة، ونشاط في العبادة .

عباد الله: توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بطاعته وكثرة ذكره تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تُخصبوا،

وانهوا عن المنكر تنصروا. واعلموا أنكم عن قليل راحلون، وإلى اللخ صائرون، فلا يغني عنكم هناك إلا عمل صالح قدمتموه، أو حسن ثواب حزتموه، وإنما تقدُمون على ما قدمتم، وتجازون على ما أسلفتم، فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية، عن مراتب جنة علية. وخذوا من ذلك عبرة، فإن العاقل من انتفع بالموعظة، وأخذ حذره.

اللهم اجعلنا ممن ختم لهم بالحسنى، وتوفنا وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين.